ممفهوم القطيعة بين التراث والحداثة في فكر مُحَّد اركون.

وسيلة عيسات
قسم علم الاجتماع. جامعة وهران
aissat.wassila@yahoo.fr

الملخص:

أفرزت التغيرات والتحولات التي شهدها الفكر العربي المعاصر نوعا من التحديات والتي باتت الزاما عليه مواجهتها والتعامل معها بطريقة تمكنه من مواكبة مختلف التأثيرات الخارجية والداخلية لمختلف هذه التحديات... هذه التحولات والتغيرات التي فرضتها مجموعة من الظواهر كالعولمة والحداثة ، بالإضافة الى ظهور بعض التيارات الفكرية والفلسفية الغربية. وعندما نقول تحديات فذلك يرجع الى مجموعة من العوامل الداخلية كالتخلف والتبعية الفكرية والعلمية والثقافية، وعوامل خارجية كما سبق الذكر كالعولمة والحداثة ، التقدم التقني والتكنولوجي ، العلمانية... مما ادى الى ظهور مجموعة من الثنائيات الجدلية ، كإشكالية الحداثة والتقليد ، الاصالة والمعاصرة ، الصراع القيمي بين كل ما هو قديم وجديد وكيفية الموازنة بينهما بمقابل الوازع الديني ، بمعنى ان اهم اشكال يواجه المجتمعات العربية هو اشكالية الحداثة والاسلام.

الكلمات المفتاحية: القطيعة؛ المفهوم؛ التراث؛ الحداثة؛ مُحَّد أركون.

مقدمة

شهد الفكر العربي المعاصر مجموعة من التغيرات والتحولات افرزت نوعا من التحديات والتي باتت الزاما عليه مواجهتها والتعامل معها بطريقة تمكنه من مواكبة مختلف التأثيرات الخارجية والداخلية لمختلف هذه التحديات... هذه التحولات والتغيرات التي فرضتها مجموعة من الظواهر كالعولمة والحداثة ، بالإضافة الى ظهور بعض التيارات الفكرية والفلسفية الغربية. وعندما نقول تحديات فذلك يرجع الى مجموعة من العوامل الداخلية كالتخلف والتبعية الفكرية والعلمية والثقافية ، وعوامل خارجية كما سبق الذكر كالعولمة والحداثة، التقدم التقني والتكنولوجي ، العلمانية... مما ادى الى ظهور مجموعة من الثنائيات الجدلية ، كإشكالية الحداثة والتقليد ، الاصالة والمعاصرة، الصراع القيمي بين كل ما هو قديم وجديد وكيفية الموازنة بينهما بمقابل الوازع الديني ، بمعنى ان اهم اشكال يواجه المجتمعات العربية هو اشكالية الحداثة والاسلام. و محاولة لطرح نوع من المساءلة للتراث الديني الاسلامي في علاقته مع الحداثة ومتطلباتها.

ويكاد يكون هناك شبه اجماع بين هؤلاء المفكرين وغيرهم بان دراسة مسالة الحداثة لا يمكن ان يتم بإغفال مسالة التراث او الدين الذي يقوم عليه المجتمع، اي انه من الغباء ومن الصعوبة في نفس الوقت على اي باحث او مفكر البحث في مسالة الحداثة دون ان يأخذ بعين الاعتبار التراث او الاسلام كقاعدة اساسية ينطلق منها ونفس الشيء بالنسبة للمجتمعات

العربية اذا ما ارادت تطبيق الحداثة والعمل بمبادئها. ما دفع بهؤلاء المفكرين الى محاولة تفكيك وتأويل واستنطاق التراث العربي والمنظومة القيمية التقليدية للمجتمع العربي وعلاقتها بالحداثة...؟

2-في مفهوم الحداثة عامة:

ارتبط مفهوم الحداثة كمذهب فكري بعصر النهضة بانفصال المجتمعات الاوروبية عن سلطة الكنيسة ومن ثمة انتقل المصطلح الى الفكر العربي محملا بتفسيرات فلسفية ودينية بعيدة كل البعد عن معناه الحقيقي. فالحداثة تعني الحرية والانطلاق والتغيير بدون اي قيود شريطة عدم الانزياح والخروج عن الثوابت والقواعد الاساسية، وخاصة التراث والدين. فهي كل ما يطرا عن الاساليب والاشكال من تغيير ويعتبر جديدا وحديثا متطورا مقارنة مع ما قبله بحيث يتوافق ويتلازم الشكل مع المضمون لان كلاهما يسير جنبا الى جنب لتجنب الصراع.

تأخذ الحداثة ملامحها الاساسية في الفلسفة الوضعية la positivismeالتي احدثت نوعا من القطيعة مع التصورات الكنسية التقليدية مؤكدة اهمية المعرفة العلمية والعقلانية في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية واعتماد المنهج العلمي الذي يعتمد على الموضوعية اساسا. فالعقلانية تعد الركيزة الاساسية للحداثة كما عبر عن ذلك الان توران A.Tourain. فالحداثة هي رفض التصورات القديمة. فهي تمثل القطيعة مع الغائية الدينية التقليدية، وهي انتصار للعقل في شتى مجالات الحياة... فغاية الحداثة هي بناء مجتمع عقلاني. بمعنى انها تشكل

ولادة مجتمع جديد يحكمه العقل وتسوده العقلانية وبالتالي رفض كل الاساليب والاشكال والتصورات التي لا تستند الى اسس عقلية علمية... وهذا ما دعت اليه فلسفة التنوير. لكن بالمقابل اذا اردنا تحقيق الجانب الايجابي في الحداثة لابد من محاولة تحقيق التوافق بين الذات الفردية والعقل. فمن مخاطر الحداثة حدوث هذا الانفصال بين العالم العقلي والعالم الذاتي سواء على مستوى الفرد او المجتمع ككل. فالحداثة في ابسط تعريفاتها هي عملية تاريخية معقدة في سياق عالمي تتم تدريجيا وببطء شديد. فهي ليست مجرد تغيير في أنماط العيش، إنها أسلوب وفلسفة في الحياة وتعبير عن ثقافة مجتمعية. فالحداثة يقول **هابرماسHabermas** لا يمكنها ليس بإرادتها ولا تقبل استعارة المعايير التي تسترشد بها من عصر لآخر، والتي بموجبها تأخذ وجهتها، فهي تستخرج بالضرورة معياريتها من ذاتها. وبالتالي تكون الحداثة بمثابة **انبثاق وضع جديد** ، أي أنها مرتبطة **بوعي ذاتي** ينبع من رغبة الفرد المستمرة في التغيير[1].

وهذه هي الخاصية الجدلية للحداثة.. بمعنى انه لا يمكن الحديث عن مجتمع حديث إلا بالرجوع إلى القيم الأصلية التقليدية وانطلاقا منها والتي تشكل حجر الزاوية في بداية أي تغيير. هذه القيم وهذا التاريخ الذي لا يجوز لنا اعتباره هدفا نتوجه نحوه ونسعى للعودة إليه، بل يجب علينا أن نجعل منه نقطة استناد تدفعنا للأمام أي الانطلاق من التقليدي والتوجه نحو الحديث.

[1] J.Habermas, Le discours philosophique de la modernité, Gallimard, Paris, 1988 ; P 08.

فالتاريخ هو الذي يساعدنا في تحليل وفهم الحاضر، على أساس أن هذا الحاضر تأسس من خلال الركائز والأسس الموجودة في الماضي [2]، بمعنى ان الحداثة هي المعبر عن ذات المجتمع وخصوصيته الثقافية والقيمية، وامكانية التحول والتغيير انطلاقا من هذه الخصوصية. اي من خلال اسقاط الحاضر بقيمه الحديثة على قيم وثقافة المجتمع التقليدية التي تعبر عن الماضي وذلك بمحاولة استنطاق الجذور الفكرية والثقافية. وهو ما يسميه **افاس بوني Ives Bonny** "بذوبان وانحلال القيم التقليدية داخل الحداثة" [3] فاذا اردنا تطبيق الحداثة بشكلها الصحيح يجب ان نأخذ منها روحها ومعناها الحقيقي، ونترك اشكال ممارستها لطبيعة المجتمع الاصلية. فالجدلية التي تمثل خاصية اساسية في الحداثة هي دراسة محتوى الفكر نفسه لا شكله، اي دراسة القوانين الاساسية للتغير الحاصلة في المجتمع. بمعنى انها تقوم على الحركة. فالأشياء والمجتمع على حد السواء هما في تغير مستمر ودائم والتناقض هو قانون تغيره وتحوله. فعلى حد تعبير هيجل الديالكتيكا تشكل احد مظاهر المنطق، فهي تبين عملية الانتقال من مرحلة الى اخرى او من حالة الى حالة اخرى لضدين متناقضين ومتعارضين من خلال انحلال وذوبان احدهما في الاخر لكن مع التركيز على كل ما هو ايجابي في عملية الذوبان والانحلال [4].

[2]Djamel Guerid. L'exception algérienne. La modernité à l'épreuve de la société. Edition Casbah. Alger. 2007.P27

[3] Ives Bonny,Sociologie du temps présent,Modernité avancée ou postmodernité?,Opcit,p 157

[4]G.W.F.Hegel, Propédeutique philosophique, Trad Maurice De Gandillac, Ed Gonthier, Paris, 1949, P132.

ففكرة التغيير والحداثة والانفتاح يجب ان تكون مصاحبة بالوعي بمدى انسجام تلك الاشكال ببنية المجتمع. اذ يقول **دوميناش Domenach** "يعتبر حديثا كل موضوع او فرد تبث انه يتوافق مع عصره" [5] التغيير يكون تبعا لتغيير الافكار لكن مع المحافظة على الثوابت. اذ يرى بعض المفكرين وعلى راسهم مُحَمَّد اركون ان الحداثة والتجديد عملية حضارية تعمد بالدرجة الاولى الى اكتشاف التراث اي الماضي وهو حاجة ملحة فالحاضر ما هو الا تراكم للماضي. فعالم الاجتماع اوغست كونت يرى بان الحضارة ظاهرة بشرية كونية تطورت من البسيط الى المركب المعقد... وهي ظاهرة تتطور باستمرار نحو الافضل. ويرى هنتنغتون ان انتشار السلع الغربية لا يعني بالضرورة انتشار الثقافة الغربية، ويرى انه لدى تعرض البلدان لعملية التحديث قد تتغرب بأشكال سطحية دون ان تفعل ذلك على صعيد الابعاد الاكثر اهمية للثقافة مثل اللغة والدين والقيم... ثم يتساءل هل يتعين على المجتمعات الغير غربية اذا ارادت ان تتحدث ان تتخلى عن ثقافتها الخاصة وتتبنى عناصر الثقافة الغربية...؟ ولماذا نتحدث دائما عن ثنائيات استقطابية وصفت بصدام الحضارات، الصراع بين التقليد والحداثة، بين الماضي والحاضر...؟ فالتغير التاريخي الذي احدثه الاسلام في النظم والاخلاق والقيم الدينية هو في حد ذاته بمقياس الحداثة او وجه من اوجه الحداثة...

[5] Jean- Marie Domenach, Approche de la modernité, Ellipses, Paris, 1995, P15.

فالمجتمعات العربية على راسها الجزائر اصبحت في امس الحاجة الى منظومة قيمية جديدة حديثة قادرة على دمج متطلبات العصر وصياغة مفاهيم تناسب المنظومة القيمية للمجتمع، على اساس مبادئ الحوار والتفاهم والاحترام على اعتبار ان الحداثة لا تملك نفس مفهوم العولمة، بمعنى انه ليس هناك حداثة عالمية واحدة...من خلال مكونات ثقافة المجتمع الداخلية وقابليتها للتواصل والتطور والتغيير المتجدد. اي انطلاقا من ذات المجتمع. ولقد برزت مجموعة من الدراسات التي حاولت تحليل وفهم واقع المجتمع العربي وتأثير ظاهرة الحداثة على أفراده وثقافته وقيمه وعلى الهوية الوطنية.

3-الحداثة في بمفهوم اركون:

تتميز الحداثة بأولوية الذات والتي يستمد منها الانسان يقينياته، وتعد المرجع الاول له كذات فاعلة وليس من تعاليم عقيدة معينة. كما ترتبط الحداثة ارتباطا وثيقا بالعلم والعقلانية من خلال علاقتهما بالعقل الذي يبتعد كل البعد عن كل ما هو غامض ومبهم او خيالي (اسطوري)، والذي يبعد كل الخرافات والاساطير في تفسير وتأويل الاحداث. وبالتالي يصبح العقل في هذا المجال المصدر الاساسي والمرجع الاول للعلم والمعرفة والحقيقة والتي تساعد الانسان على اكتشاف القوانين التي يسيطر بواسطتها على الطبيعة. ما وصل اليه اركون في ما يخص الحداثة بعد قراءته لواقع المجتمعات العربية منذ قيام دول الاستقلال هو عبارة عن تحديث مادي تمثل في ادخال منتجات تقنية عليها من دون ان يرافق ذلك تغيير عقلي او ثقافي، وهي حقيقة لا

يمكن لاحد منا ان ينكرها او يرفضها باي حال من الاحوال- وبالتالي يصبح المشكل في هذه الحالة وكما ذكر مالك بن نبي هو في الاساس مشكل افكار[6]، هذا التغيير الفكريو الثقافي والعقلي كان هو الاساس في انتاج هذه التقنيات في الغرب، وهذا ما يجعل المجتمعات العربية وعلى راسها الجزائر تعيش حالة من الفصام والصراع القيمي وذلك لوجود فجوة بين ما هو كائناو قائم وما ينبغي ان يكون او ما يطمح اليه الفرد... فالحداثة بالنسبة لأركون هي ليست المعاصرة. كذلك يرى انه لابد لنا من التمييز بين الحداثة الحقيقية والحداثة السطحية. لان هناك فرق بين الحداثة المادية (السطحية) والحداثة العقلية (الفكرية). بمعنى ان استيراد الدول العربية للمنتجات التقنية كما سبق الذكر لا يعني دخول هذه الاخيرة في الحداثة الا من الناحية الشكلية الاستهلاكية، بل لابد من التغيير في البنية الثقافية والفكرية. فيرى انه اذا ما اردنا تطبيق الحداثة بشكلها الصحيح لابد ان نأخذ منها روحها ومعناها الحقيقي اي مضمون الحداثة من خلال محاولة فهم ما هي الحداثة بالدرجة الاولى، ثم نترك اشكال ممارستها لطبيعة المجتمع الاصلية و تراثه...

فإخفاق الحداثة عربيا وفي المجتمع الجزائري على وجه الخصوص يعود اولا الى سوء الفهم والاستيعاب قبل التطبيق. فمنطق الحداثة هو منطق جدلي لأنه خاضع لاحتواء كل ما هو تقليد قديم وكيفية تجاوزه. كما لابد من ان يتوفر

[6]مالك بن نبي مشكلة الأفكارفي العالم الإسلامي ، ترجمةبسام بركة، احمد شعبو، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1988، إعادة 2002.

على شروط ذاتية للتغيير، اي من خلال وعي جدلي مع التقليد. هدا التغيير الذي يجب ان يقوم وفق قاعدة عقلانية و هي اهم اسس الحداثة، اذ ليس تمة حداثة مناذ ليس تمة حداثة من دون عقلنة (...) اليس الفكر الحديث هو ذلك الذي يكف عن الانحباس داخل المعاش لكي يصير علميا وتقنيا...[7] اين يصبح العقل المصدر الوحيد والاساسي للمعرفة والذي يرفض ويستبعد الخرافةو الاساطير في تفسير ودراسة الظواهر التي ترتبط بالإنسان. "فلا وجود لحداثة الا باعتبارها تفاعلا متناميا للذات والعقل، للوعي والعلم"[8] ولكن بعيدين عن علاقة التابع بالمتبوع التي حددها ابن خلدون [9]. فالحداثة هي تجربة ليست ضد التقليد وانما ضد منطق التقليد وهيمنته [10] من خلال منطق جدلي قائم على نوع من الصراع ليس لإلغاء احد الطرفين وانما محاولة محورته او كما سماه هيجل بصراع الاضداد. "اي انها حصيلة لعبة معقدة بين القديم والحديث، داخل هده اللعبة تتكون صورة اخرى عن التجربة الانسانية غير صورة المحافظة والتشبث الدوغماتي بالماضي وقيمه وحدها دون غيرها. ليست الحداثة مجرد رفض دوغماتي للماضي بل هي وعي جديد بدلك الماضي"[11].

---

[7] Alain Touraine, Critique de la modernité, Fayard, Paris, 1992, P 209.

[8] Ibid, p 212.

[9] عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، لبنان.

[10] Ives Bonny, Sociologie du temps présent, Modernité avancée oupostmodernité ?,ArmandCollin, Paris,2004, P 157

[11] عبد الحق منصف، الاخلاق و السياسة، كانت في مواجهة الحداثة، بين الشرعية الاخلاقية و الشرعية السياسية، افريقيا الشرق، المغرب، 2010، ص 32.

4-ثنائية الحداثة و الاسلام في فكر اركون:

هل يمكننا التحدث عن وجود معرفة علمية عن الاسلام في الغرب، ام بالأحرى عن وجود متخيل غربي عن الاسلام؟ [12] أي ماهي نظرة الغرب للإسلام...؟

ان من بين اهم الثنائيات الجدلية التي حاول اركون فهمها و تفسيرها بطريقة نقدية وتحليلية هي ثنائية الاسلام/الحداثة او التفكير الاسلامي والحداثة، وهذه العلاقة التي ينظر اليها الجميع على اساس الصراع والتعارض الدائمين... فيرى اركون انه لإدخال الحداثة الى المجتمعات العربية لابد من نقد العقل او الفكر الاسلامي – او بالأحرى نقد واعادة التفكير في النظرة او الرؤية التقليدية للفكر الاسلامي- فالخطاب الاسلامي الحالي قد زاد من تلك التصورات التقليدية الموروثة عن الاسلام الذي اصبح مجرد طقوس عبادية لا اكثر ولا اقل. هذا هو الاسلام في نظرهم مع الغياب التام للبعد الفكري والروحي والحضاري. هذا الاسلام المجرد الذي يقف في نظرهم في وجه أي محاولة للتطور او التغيير... ولقد زاد هذا التصور السكوني الجامد للإسلام في نظر الغرب [13] فتطبيق فكرة الحداثة غير ممكن ان يحدث خارج نطاق التقاليد او التراثو بالدرجة الاولى الدين (أي الاسلام)-اذا ما تحدثنا

---

[12] محمد اركون، الفكر الاسلامي، نقد و اجتهاد، ترجمة هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص35.

[13] محمد اركون، الاسلام، اوربا، الغرب، رهانات المعنى و ارادات الهيمنة، تر هاشم صالح، دار الساقي،،ط2، بيروت، لبنان، 2001، ص13.

عن المجتمعات العربية-. فالدين هو في حد ذاته حداثة، والحداثة الامتن هي المعتمدة على التيار الديني والتراث... وبالتالي اذا ارادت المجتمعات العربية المشاركة في الحداثة لابد لها من الانطلاق من تراثها (الاسلام) لكن من خلال اعادة قراءته وتحليله، أي القيام بعملية غربلة لهذا التراث لكن بمقاييس الحداثة وليس الماضي. والإسلام الحالي في نظر اركون هو عبارة عن اسلام تجريدي بكل ما للكلمة من معنى. فهو اسلام غريب بعيد كل البعد عما سبقه ومستخدما فقط وبشكل كلي من اجل التغطية على الحداثة المستوردة من الغرب ورفضها ومقاومتها.

وبهذا المعنى اصبح الاسلام سببا وجيها لرفض الحداثة، وقوة تستعمل سلبا لصدها ومقاومتها على اعتبارها حداثة غربية بكل سلبياتها وايجابياتها، "ومن اهم هذه المكتسبات الايجابية للحداثة قدرتها على دمج العامل الديني نفسه داخل استراتيجية موسعة ومنفتحة لإنتاج المعنى والسيطرة عليه. وهكذا افسدت المكتسبات الايجابية للحداثة اثناء عملية نقلها الى درجة انها شوهت وفتتت الوظائف الروحية الكونية للقيم الاكثر رسوخا للإسلام (يحصل ذلك كما لو اننا خسرنا الحداثة و الاسلام في ان واحد)"[14]. فبالإضافة الى مفهوم الحداثة المليء بالشوائب والفهم والتأويلات الخاطئة لحد اليوم "فان المصطلحات الثلاثة: اسلام، اوروبا، غرب، تعرضت لادلجة مهووسة ومبالغ فيها، ولهذا السبب ينبغي ان نعيد التفكير فيها لكي نحل الصورة التاريخية

[14] المرجع السابق ، ص 18.

(الواقعية) محل الصورة الإيديولوجية، وينبغي ان نوضح الامور من جديد وان ننظر اليها بشكل نقدي"[15]

فالجدلية الموجودة في فكر اركون بين الحداثة والتراث (الاسلام) تكمن في ان هذا التراث تعاد قراءته على ضوء الحداثة، والحداثة في حد ذاتها تنطلق من التراث، وبالتالي فالتفاعل متبادل. فمنطق الحداثة منطق جدلي وذلك من خلال عملية احتواء القديم (التراث) وتجاوزه وليس الغاءه، وهذا الجديد لا يلبث حتى يصبح في يوم من الايام قديما ولابد من تجاوزه وهكذا. فالحداثة ليست مجرد مفهوم يقول اركون بل هي مرحلة تاريخية، مرحلة تحول تاريخي وفكري في الاساس. وهي لا تعني مجرد التطبيق وانما معناها الاستيعاب قبل التطبيق، فهي نمط من المعرفة يصعب استيعابه دون فهم الشروط الذاتية للمجتمع، أي لابد من العودة الى ذات المجتمع من خلال محاولة بناء القديم وفق الجديد والتراث وفق منطق الحداثة... والاسلام بهذا المعنى لم يكن ابدا حاجزا في وجه التحول والتغير والتفتح والابداع... فهناك نوع من التداخل بين الاسلام والحداثة او كما سماها اركون "بالتداخل التفاعلي بين الحدث الاسلاميو الحداثة"[16]

وبهذا الشكل من التحليل واعادة الفهم، اركون لا يحاول اعادة كتابة تاريخ الصراع و التنافس والنبذ المتبادل بين الطرفين (الاسلام/حداثة)، بل يهدف

[15] نفسه ، ص 5.

[16] المرجع السابق ، ص 19.

من وراء ذلك الى فهم افضل لسبب الصراع بين الظاهرة الدينية والحداثة منذ القرن السادس عشر. ما سر الصراع بين الرؤية الدينية للعالم ورؤية الحداثة للعالم بدلا من ان تكون الرؤيتين متكاملتين...؟ فليس الاسلام كدين يقول اركون هو سبب كل المشاكل التي تندلع حاليا في كل المجتمعات العربية والاسلامية. ليس هو سبب كل انواع الفوضى الاجتماعية والسياسية وخاصة المعنوية التي تعاني منها هذه المجتمعات منذ الاستقلال وحتى اليوم [17] وانما طريقة قراءتنا وتفكيرنا للإسلام والتراث التقليدي للمجتمع بصفة عامة. فالمشكل ليس في الاسلام وانما في فكر الافراد...

5- مفهوم القطيعة عند مُحَمَّد اركون و الدخول الى الحداثة:

يقول اركون " هكذا ترون ضمن اي اتجاه احاول توجيه فكري وعقلي. وانا لا اقول بذلك فقط ضمن اطار الفكر العربي الذي اشعر بالانتماء اليه، لأني ربيت فيه وترعرعت ثقافيا وفكريا، وانما اقول بهذا العمل وتلك المهمة بصفتي عضوا من اعضاء الاسلام، ومساهما في التجربة الاسلامية للوجود"[18]

يعتبر مفهوم القطيعة من اهم المفاهيم التي اثارت جدلا في فلسفة اركون نظرا لسوء فهمها او بالأحرى تأويلها الخاطئ من قبل بعض المفكرين. اذ يقول مُحَمَّد اركون " ان الفكر الاسلامي المعاصر في حاجة ماسة الى ان يدرك معنى القطيعة المعرفية لينتقل من مرحلة الانتاج الميثولوجي (اي الاسطوري او

---

[17] المرجع السابق ، ص67.

[18] مُحَمَّد اركون، العلمنة و الدين، الاسلام، المسيحية، الغرب، بحوث اجتماعية، تر هاشم صالح، دار الساقي، ط3، بيروت، لبنان، 1996، ص77.

الخرافي) والاستهلاك المخيالي للمعاني الى مرحلة الربط بين المعاني والتاريخية في كل ما يطرحه ويعالجه من مشاكل دينية، لاهوتية، فلسفية، سياسية او ثقافية..." [19] فالقطيعة عند اركون هي بمثابة العملية الاستكشافية التحليلية والنقدية للفكر والتراث العربي الإسلامي والتقاليد، "فتجربة الغرب التاريخية منذ اكثر من قرنين تثبت لنا على ان الغرب ما استطاع انجاز اعماله الكبرى ال بعد ان تخلص من الافق الديني القروسطي (اي التصور المظلم والمرعب للدين،- وليس الدين في حد ذاته – التصور الذي يقتل في الانسان حس المبادرة والحركة ويدعوه للاستكانة والاستسلام ورفض الانخراط في العالم) " [20] واخذ المبادرة للتغيير.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما هي نوع هذه القطيعة الاركونية ان صح التعبير، والى ماذا تهدف في حقيقة الامر ...؟ هل هي قطيعة مع التراث والمنظومة القيمية ومع الاسلام خاصة كما يفسرها البعض، والتي تهدف الى الغاء كل هذه العناصر والغاء الاهتمام بها وتجاوزها في عملية الانتقال والتحول من مرحلة الى اخرى جديدة حديثة وفق عملية التغيير باعتبارها (اي التراث، القيم الاسلامية، الدين...) تجارب قديمة قد تجاوزها الزمن ولم تعد لها اي اهمية تذكر...؟؟؟ بمعنى هل علينا الغاء كل هذه المرحلة والانتقال مباشرة الى ما هو حديث مختلف من خلال البدئ من الصفر. او انها العكس تماما

---

[19] محمد اركون، من فيصل المقام الى فصل المقال، اين هو الفكر الاسلامي المعاصر، تر هاشم صالح، دار الساقي، ط2، بيروت، لبنان، 1995، ص4

[20] المرجع نفسه ، ص 30.

هي قطيعة تهدف الى خلق ما نسميه بعملية التغيير التراكمي، وذلك من خلال اعادة قراءة التراث وتحليله بواسطة عملية نقدية نحاول من خلالها البناء والتغيير انطلاق من هذا التراث وذلك بإعادة محورته وصياغته بطريقة تتماشى مع منطق الحداثة. اي البناء على كل ما هو تراث اسلامي تقليدي وهذا هو مضمون ما نسميه بجدلية الحداثة. فالقطيعة عند اركون ليست قطيعة كلية كما يدعيها البعض، والتي مفادها انه ليس هناك اية علاقة بين الماضي والحاضر. وفي نفس الوقت لا يؤكد محمد اركون ان هناك صلة حتمية بين الماضي (التراث) والحاضر... في كلا الحالتين لا يمكن ان نحقق التقدم او ما نسميه حداثة. وبالتالي فالقطيعة الاركونية هي قطيعة وسطية ان صح التعبير. بمعنى انه لابد لنا ان نفتش داخل الماضي ونبحث عن التراث والقيم الانفع للمجتمع العربي عامة. اي غربلة هذا التراث واختيار القيم التي تتماشى مع منطق الحداثة، ثم نعمل على تطويرها والعمل عليها وبلورتها لكن من الداخل اي من ذات المجتمع بإعادة صياغتها بحيث يتماشى الشكل مع المضمون. فبالنسبة لأركون فان ممارسة القطيعة يكون من داخل التراث لا من خارجه. اي قطيعة داخلية كما سماها اركون... وهو نفس معنى الحداثة. فاركون لا يدعو ابدا الى الغاء التراث الاسلامي خاصة، وانما يدعو الى اعادة قراءته بطريقة عقلية علمية وتفكيكية تحليلية. وهذا بالفعل ما يحدث ليس فقط في المجتمعات الغربية الحديثة بل كذلك في المجتمعات العربية. "فقد اصبح العقل (في الغرب) قادرا على ان ينظر للأمور بطريقة تساؤلية، منفتحة، لا

دوغماتية. انه ينظر بطريقة تساؤلية للمجال المخلوق من قبل العقل بدون التصور الديني، والمجال المخلوق من قبل العقل مع التصور الديني. وبالتالي فالمسالة الحديثة المطروحة اليوم لم تعد: هل انت ضد التصور الديني/ او مع التصور الديني في المطلق. وانما المسالة المطروحة علينا في العصر الراهن هي: كيف يمكن ان ندمج كلا الموقفين الذين ظهرا في التاريخ حتى الان... كيف يمكن ان اتوصل الى ايمان جديد يتجاوز الايمان القديم ويحتضنه ويكون بحجم حداثة العالم؟"[21] اي بمنطق الحداثة وهذا ما دعت ايه القطيعة الاركونية والتي قلنا عنها انها قطيعة وسطية.

خاتمة:

يعتبر اركون من بين اهم المفكرين العرب ان لم نقل الوحيد الذي تتسم دراساته وافكاره بنوع من الشجاعة والجرأة خاصة في تناوله موضوع الدين والتفكير الاسلامي، مما جعل افكاره ترفض من قبل بعض القراء والمفكرين كذلك. وسبب الرفض لفكر اركون هو وجود وجه واحد للإسلام او الدين وهو الخطاب الاصولي، وذلك لانهم يروا في ذلك خروج عن الشريعة او الكفر والخروج عن الاسلام.

وجد اركون ان العالم الاسلامي هو الوحيد الذي بقي يتخبط في مشاكل اجتماعية وثقافية واقتصادية... هو الوحيد المتعارض لحد اليوم مع منطق و قيم الحداثة، والسبب حسب اركون هو ثقافي محض اي وكما ذكر مالك بن

[21] المرجع السابق، ص 31-32.

نبي قبله ان المشكل هو مشكل افكار في الاساس. كذلك من جهة اخرى هناك حركة العلمنة التي درسها اركون والتي في نظره لا يمكن ان تتم الا بعد اعادة صياغة وتصحيح علاقتنا مع التراث والتاريخ... وبهذا الشكل اركون لا يهدف ابدا الى قطع العلاقة مع الدين وانما يدعو للبحث عن طريقة للتعايش والحوار لكل التيارات والهويات الفكرية والثقافية... فمن جهة يدعو المسلمين الى القيام بعملية نقد داخلية لقيمهم و ثقافاتهم للتعايش مع القيم العصرية. ومن جهة اخرى يدعو الغرب الى تغيير فكرهم عن العرب والمسلمين والثقة في امكانية حصول تغيير وتحول جذري...

« لقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى حتى بداية النهضة هي لغة العلم في جميع أنحاء العالم ... وتستطيع اليوم بخصائصها الذاتية أن تكون إحدى اللغات العلمية على مستوى العالم بأسره».

«إن الأمم بماضيها، الأمم بحاضرها ومستقبلها، وإذا كانت الأمة تجهل ماضيها، تفقد الثقة في حاضرها، ولا يمكن أن تنطلق في مستقبلها، وتبقى دائماً معقدة».